كيفية التأصيل في طلب العلم

محاضرة للشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية وأستاذ كرسي الفتوى فيها

والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

قال الشيخ سليمان بن سليم الله الرحيلي حفظه الله تعالى:

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا. من يهد الله فلا مُضلّ له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران:١٠٢]

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:١]

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد، فإنّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، ثم يا معاشر الأحبة،

أحيّيكم بالتحية الطيبة المباركة، لهذه الوجوه الطيبة المباركة، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهلًا وسهلًا بالذين أحبهم وأودّهم في الله ذي الآلاء.

أيها الأحبة، إن القلب ليفرح، وإن النفس لتسعد وهي ترى وجوه طلاب العلم، الذين هم على الأمة من فضل الله ورحمته، وبفضل الله ورحمته يفرح المؤمنون، وإن الذي يرى أمثالكم لينشرح صدره، وتسعد نفسه، ويرجو للأمة الخير الكثير، فإن الأمة لا تزال بخير ما قام فيها طلاب علم يطلبون العلم الصحيح المبني على كتاب الله، وعلى سنة رسول الله ﷺ، وعلى خيرِ فهمٍ وأسلمَه، وأعلمِه وأحكمِه، فَهمِ صحابة رسول الله ﷺ، فَهمِ سلف هذه الأمة المباركة.

وإن هذه الجامعة الإسلامية التي نجتمع في رحابها من أكثر نعم الله عز وجل على المسلمين في زماننا، فإن هذه الجامعة الإسلامة جامعة إسلامية سلفيّةٌ حقًا وصدقًا، بُنيت على قصد صحيح، وغرض عالٍ سامٍ، بناها الأئمة العلماء، سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم

رحمه الله، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عز وجل، بنَوها على كتاب الله، وعلى سنة رسول الله ﷺ، وقرّروا فيها العلم النافع، وجعلوها لأبناء المسلمين، فأنعم الله على الأمة، فاجتمع في مدينة رسول الله ﷺ، وفي جامعة المسلمين طلاب من بلدان شتى، فما من بقعة على وجه الأرض إلا وفي الجامعة طالب منها، أو كان طالب قد تخرّج من الجامعة الإسلامية منها، فلله الحمد والمنة.

وأسأل الله عز وجل أن يرزقني وإياكم شكر هذه النعمة، فإن النِّعم حتى تقِرّ وتزداد تحتاج إلى شكر ربّ العباد سبحانه وتعالى، فنحن بحاجة لأن نشكر الله عز وجل على نعمه علينا، ومنها هذه الجامعة الإسلامية.

ومن أعظم الشكر –أيها الإخوة– أن نغتنم الوقت ونحن في هذه الجامعة الإسلامية.

الله أكرمنا، والله أنعم علينا، أكرمنا بأن جعلَنا ممّن سكنوا مدينة رسول الله ﷺ، هذه المدينة التي كان يحبّها النبي ﷺ ويشتاق إليها، وكان ﷺ إذا قدم من سفر فرأى جدرات المدينة حرّك دابّته، وأووضع راحلته، من محبّته للمدينة.

فالله أكرمنا بهذا الكرم العظيم، وأنعم علينا بأن تمّ اختيارنا بأن نكون من طلاب الجامعة الإسلامية، فكم من طالب تقدم لهذه الجامعة وسعى، لكن الله لم يكتب له ذلك، والله عز وحل جعلَنا من طلاب هذه الجامعة الإسلامية، فنيبغي أن نشكر الله عز وجل على هذه النعمة بأن نحرص على أن نستفيد من جميع وقتنا، أن نحرص على أن نستفيد من الجامعة الإسلامة، وأن نحرص على أن نستفيد من الجامعة الكبرى: مسجد رسول الله ﷺ، الذي انطلق منه العلم، والذي تُقام في حِلق العلم لعلماء أجلّاء، ومَن جاء مسجد النبي ﷺ ليتعلّم خيرًا أو يعلّمه كان كالمجاهد في سبيل الله.

أيها الإخوة، نجتمع على شأن عظيم، نجتمع على مائدة العلم، لنتحدث في أمر في غاية علوّ الشأن، ألا وهو العلم وطريق تحصيله وتأصيله.

[فضل العلم وأهله]

لا شك –أيها الإخوة– أن العلم فضله عظيم، وأجره كريم، وخيره عميم، وكيف لا يكون ذلك كذلك والدين كله مبني على العلم؟ فالعلم قبل كل قول، وقبل كل عمل، فكل قول وكل عمل إنما يُبنى على العلم، والعلم يصححه، والعلم يصححه، يقول الله عز وجل: {فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ} [محمد:١٩].

{فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ}: فبدأ الله عز وجل بالعلم قبل أعظم مطلوب، ألا وهو التوحيد.

{فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ}: فالعلم قبل القول والعمل، وإذا كان التوحيد مبنيًّا على العلم، فإن جميع الدين مبنيّ على العلم.

كيف لا يكون فضل العلم عظيمًا والله عز وجل قد قرن العلماء باسمه، وأشهدَهم على خير مقصود وأعظم مطلوب؟ يقول الله عز وجل: {شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ} [آل عمران:١٨].

يقول المفسرون –ومنهم الإمام القرطبي– إن هذه الآية فيها شرف العلم والعلماء، لأن الله عز وجل قرن اسم العلماء باسمه سبحانه، وباسم ملائكته الكرام، ولأن الله عز وجل جعل العلماء شهداء له بالتوحيد سبحانه وتعالى، والشاهد لله بالتوحيد حقًّا وصدقًا مُكرَم في الدنيا، مُكرَم في الآخرة، يكون من أهل الجنة.

كيف لا يكون للعلم فضل عظيم وأجر كريم وهو طريق رضا الله عز وجل سبحانه وتعالى، طريق رضوان الله الأكبر، طريق الجنة.

العلم –أيها الأحبة– خيرٌ كلّه، من أوّله إلى آخره، لا يسقط منه شيء عن الفضل، بل إن العلم من أوّل خُطوة فيه له فضل عظيم، فطالب العلم في فضل، والعالم في فضل، وكلّما زاد الإنسان في علمهن كلّما زاد فضله، إن تخلّق بما أراده الله عز وجل منه.

يقول النبي ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس به علمًا سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده».

الله أكبر! ما أعظمه من فضل!

«ما اجتمع»: وهذا يشمل كل قوم اجتمعوا في بيت من بيوت الله، لكن ما شأنهم؟

«يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم»: فهم يتعلمون العلم النافع، وقد قال العلماء: إنه ليس المقصود خصوص الاجتماع في بيت من بيوت الله، وإنما يدخل في ذلك الاجتماع في كل مكان يُتعلّم فيه النعلم النافع، فلو اجتمع قوم في بيت من بيوتهم، أو اجتمعوا في مدرسة، أو اجتمعوا في جامعة، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، دخلوا في هذا الفضل العظيم.

«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم»: فهم في وقت المُدارسة، وفي وقت التعلّم.

«إلا نزلت عليهم السكينة»: فالله يُنزِل السكينة في قلوبهم.

«وغشيتهم الرحمة»: فالله يُنَزِّل عليهم الرحمات.

وتحفّهم الملائكة: وتحيطهم الملائكة، لأن الملائكة تعلم أن الله يرضى عن العلم وأهله، وهي تحبّ ما يحبّه الله.

«وذكرهم الله فيمن عنده»: فالله عز وجل يُثني عليهم في الملأ الأعلى، فهم أهل الثناء من الله سبحانه وتعالى.

وقبل هذا:

«من سلك طريقًا»: سبحان الله، قبل أن يصل إلى المسجد، قبل أن يصل إلى مكان المذاكرة، هو في فضل.

«من سلك طريقًا»: من خرج من بيته، من خرج من بلده، ماذا يريد؟

«يلتمس به علمًا»: يطلب به علمًا.

والحَظْ -أُخَيّ- هنا: هذه الكلمة العظيمة، «يلتمس به علمًا»: والالتماس يُشعر بالتواضع، لأن العلم لا يناله إلا متواضع، أما المتكبر فإنه لن ينال العلم، الذي يتكبر عن حلق أهل العلم ويقول: أنا أكبر من أن أجلس مع الطلاب في حلق العلم، وإنما أنا أقرأ بنفسي، فإنه لا ينال العلم النافع، «يلتمس به علما».

«سهّل الله له به طريقًا إلى الجنة»:

قال العلماء: وذلك بأمرين:

- الأمر الأول: أن طريق العلم نفسه طريق إلى الجنة، فهو عبادة، والله عز وجل يُثِيب عليها.
- والأمر الثاني: أن الإنسان إذا تعلم عَمِل وهذا طريق الجنة، فإنه الله جعل سبب دخول الجنة العمل، فهذا فضل عظيم لطالب العلم، من أول خطوة يخطوها في طريق طلب العلم، ثم عند التدارس.

وقال النبي ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس به علمًا سهّل الله له به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، ألا إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر».

في هذا الحديث العظيم الشريف بيان أن العلم كلّه فاضل، وأن طريقه كلّه خيرٌ، لمن تخلّق بما هو مطلوب منه شرعًا.

«من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة»: وقد بيّنا هذا.

«وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع»: أي أن الملائكة تتواضع لطالب العلم لعلمها بعظم منزلة طالب العلم عند الله عز وجل، ولعلمها بأن الله يرضى عن العلم وأهله، «وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع».

وجاء في حديث صفوان بن عسّال لمّا جاء إلى النبي ﷺ وقال: جئتك يا رسول الله أطلب العلم! فقال رسول الله ﷺ: «مرحبًا بطالب العلم! إن طالب العلم تَحُفّه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبّتهم لمّا يطلب».

النبي ﷺ قال لصفوان رضي الله عنه: «مرحبًا بطالب العلم!»

قال العلماء: وهذه تحيّة لكل طالب علم يطلب العلم الشرعي، يريد أن ينتفع به، وأن ينفع به.

«مرحبًا بطالب العلم! إن طالب العلم تحفّه الملائكة بأجنحتها»: أي أن الملائكة تحيطه.

«ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب»: إذن –أيها الأحبة– الملائيكة، عباد الله المكرمون، تَحُفّ بحلق أهل العلم وتُحيط بحلق أهل العلم، وتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وتحفّ طالب العلم ويركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب، وهذا شأن عظيم، وفضل عظيم لطالب العلم.

«وإن العالم»: هذا إذا حصّل العلم، فأصبح عالمًا، ينتقل إلى فضل أعظم.

«لَيستغفر له من في السماوات ومن في الأرض»: الله عز وجل يَذكُر العالم الربّاني بخير، ويُثني عليه، والملائكة تستغفر له، ومخلوقات الله تستغفر له، حتى الحيوانات، حتى الحوت، وحتى النملة.

«إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى الحوت وحتى النملة في جُحرها ليصلّون على معلّم الناس الخير».

قال العلماء: ذكر النبي ﷺ الحوت، وهو حيوان بحري، وهو أكبر حيوان على وجه الأرض، وذكر النملة، وهي حيوان برّي، وهي من أصغر حيوانات البر، ليشمل ذلك حميع حيوانات البرّ والبحر، فإنها تستغفر للعالم.

ولذلك طلاب العلم الموفَّقون المُكرَمون يحبّون العلماء الربّانيّين، يُثنون على العلماء، يذبّون عن أعراض العلماء، يستغفرون للعلماء، يعلمون أن العلماء الربّانيّين مجاهدون في سبيل الله، يعلّمون الناس السنة، يعلّمون الناس التوحيد، يذبّون عن دين الله عز وجل، فيحبّونهم، ويكرمونهم، ويذبّون عن أعراضهم، ويستغفرون لهم.

وفي هذا -أيها الإخوة- دليل على أن العالم ليس معصومًا عن الذنب، فقد يقع في الذنب، ولكن العقلاء يُقيلونه الزلّة والعثرة، ما دام أنه على صراط الله المستقيم.

«وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب»: العالم الذي يعبد الله بعلم، فضله على العابد الذي يعبد الله بجهل كفضل القمر على سائر الكواكب، ومن عادة الناس أنهم يفضّلون القمر على سائر الكواكب.

وفي الحديث الآخر لما ذُكر للنبي ﷺ عالم وعابد، قال النبي ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»: فضل العالم الذي يعبد الله بعلم على العابد الذي يعبد الله بجهل كفضل النبي ﷺ على أدنى الأمة، ولا شك أن الفضل عظيم.

قال العلماء: لأن العالم يعبد الله بعلم، فيتقرّب إلى الله بما يُرضيه، ولأنه يجمع عبادتين: عبادة العلم، وعبادة العمل بالعلم، أما العابد بجهل فقد يأتي يريد أن يُرضي الله فيقع فيما يُسخط الله سبحانه وتعالى، كما نرى من عبّاد المسلمين الجهلة، نجد أنهم يتساقطون في البدع، بل قد يقعون في الشرك بالله عز وجل، وهم يظنّون أنهم يعبدون الله ويُرضون الله سبحانه وتعالى.

«ألا وإن العلماء ورثة الأنبياء»: فهذا من فضل العلم وأهله، أن العلماء ورثة الأنبياء، لأن الأنبياء لا يُورَثون، ما تركوه صدقة، وإنما ميراثهم شيء واحد: هو العلم، وهذا الميراث لا ينقضي ولا ينقطع ما بقي الزمان، بل لجميع الأمة أن ترث من ميراث محمد ﷺ.

أنتم اليوم تستطيعون أن ترثوا من ميراث النبي ﷺ ما شئتم، فليس في ميراث النبي ﷺ انقطاع، وليس في ميراث النبي ﷺ مقدار لا يزيد الإنسان عليه، بل لك أن ترث من ميراث النبي ﷺ ما شئت، ولذلك قال النبي ﷺ: «فمَن أخذه أخذ بحظّ وافر»، فالعلماء ورثة الأنبياء، والعلماء أُمناء الله عز وجل على خلقه، ففضل العلم عظيم، وفضله كريم.

ومن فضل العلم وشرفه: أن العلم لا يُشبَع منه، ولذلك قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: {وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا} [طه:١١٤]، ولو كان هناك شيء أشرف من العلم لأمر الله عز وجل نبيّه أن يسأله الزيادة منه، كما أمره أن يسأله الزيادة من العلم، وهذا وإن كان خطابًا للنبي ﷺ فهو خطابٌ لجميع الأمة، {وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا}.

من فضل العلم وشرفه: أنه طريق خشية الله وطريق الخوف من الله، فمن عرف الله خافه، ومن كان بالله أعرف كان لله أخوف، من عرف توحيد الله وعرف الله بأسمائه وصفاته، وعرف دين الله، كان من أهل الخشية من الله، كما قال الله عز وجل: {إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ} [فاطر:٢٨]، فالله عز وجل حصر الخشية منه بالعلماء.

قال العلماء: وهذا الحصر إنما هو للخشية التامة الكاملة النافعة، فإن هذه الخشية إنما تقع من العلماء، وكلّما كان الإنسان أعلم بالله عز وجل كلّما كان أخوف لله عز وجل.

من فضل العلم: أن فضله وشرفه وأجره لا ينقطع بالموت، بل هو باقٍ بعد الموت، كما قال النبي ﷺ: «خيرُ ما يُخَلِّفُ الرجل بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يُنتفَعُ به من بعده».

فالعلم الذي يُنتفَعُ به يَنفعُ الإنسانَ وهو في قبره، فإنه عمل لا ينقطع، إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية أو علم يُنتفَعُ به، فهو عمل مستمرّ لا ينقطع بالموت، وهذا من فضل الله عز وجل على الأمة.

من فضل العلم وشرفه: أن أجره عظيم، فهو خيرٌ من كنوزِ الدنيا، وطلاب العلم وأهل العلم هم الأغنياء حقًّا، النبي ﷺ خرج على بعض أصحابه وهم في الصُّفَّة في مسجد رسول الله ﷺ فقال: «أيكم يحب أن يغدو إلى بُطحان –أو العقيق– فيأتي كل يوم بناقتين كَوماوَين زهراوَين، يأخذهما في غير إثم ولا قطيعة رحم؟»

انتبهوا يا إخوة، أهل الصُّفَّة معروفون بأنهم فقراء، والنبي ﷺ جاءهم وهم جلوس في الصُّفَّة، فقال لهم هذا السؤال.

«أيّكم يحب أن يغدو إلى بُطحان أو العقيق»: واديان معروفان في المدينة، «فيأتي كل يوم بناقتين كَوماوَين زهراوَين»: من خير النوق، «يأخذهما في غير إثم ولا قطيعة رحم؟»

قالوا: كلنا يا رسول الله! كلّنا نحب هذا.

فقال رسول الله ﷺ: «فلَأن يغدو أحدكم إلى المسجد، فيتعلّم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من أعدادهنّ من الإبل»، يعني أن الإنسان لو تعلّم آية فقط في اليوم: هذا خير له من ناقة، والنوق أعظم أموال العرب، وإذا تعلّم آيتين فقط في اليوم فهذا خير له من ناقتين، وإذا تعلّم ثلاثًا فهذا خير له من ثلاث، وإذا تعلّم أربعًا فهذا خير له من أربع، وهكذا.

قال العلماء: وليس المراد تعلّم الآيات فقط، بل المراد تعلّم العلم النافع، فيدخل في هذا الأجر الكريم والأجر العظيم كلّ علم نافع.

ومن فضل العلم وشرفه: أن العلم به السلامة من الفتن بفضل الله سبحانه وتعالى، فالعلم سفينة نوح، إذا تلاطمت أمواج الفتن، واختلطت الأمور على الناس، وغابت العقول، فإن في

العلم منجى، يقول حذيفة رضي الله عنه: قلت يا رسول الله! هل بعد هذا الخير الذي نحن فيه من شرّ نحذره؟

انظروا إلى هذا السؤال: هل بعد هذا الخير الذي نحن فيه من شر نحذره؟

وانظروا إلى الجواب:

قال النبي ﷺ: «يا حذيفة، عليك بكتاب الله فتعلّمه واتّبع ما فيه خيرًا لك».

انظروا يا إخوة، حذيفة رضي الله عنه يسأل عن شيء: هل بعد هذا الخير الذي نحن فيه من شر نحذره؟ جاء جواب النبي ﷺ في شيء آخر: «يا حذيفة، عليك بكتاب الله فتعلّمه واتّبع ما فيه خيرًا لك».

وهذا معناه يا إخوة: أن العلم سبب بقاء الخير، وأن الإنسان إذا تعلّم فهو في خير وإن كان في مكان شر، وإن وُجد الشر فإنه يسلم من الفتن بفضل الله، ويسلم من الشرور بفضل الله، إن سلك الطريق الصحيح في تعلّم العلم.

ولا شك –يا إخوة– أن فضل العلم عظيم، وأنّنا بحاجة لأن يذكّر بعضنا بعضًا بفضل العلم ما بين الفينة والأخرى، لأنّا بحاجة شديدة لما يرفع هِممَنا في طلب العلم، فإن العوائق كثيرة، وإن إبليس لحريص على أن يصرفنا عن طلب العلم، وأن يثبّط هِممَنا عن طلب العلم، وإن النفوس لتَنزِع إلى الكسل، وتحبّ الراحة، وتريد أن ترتاح، وإن الأصدقاء في الغالب يؤخّرون الإنسان ولا يقدّمونه، إلا من رحم الله، فنحن بجاجة لما يرفع هممنا ويُصبّرنا ونحن في طريق طلب العلم.

ولا شك –أيها الإخوة– أن طريق طلب العلم صعب ومُرّ، لكنه عظيم العاقبة، ولذلك يحتاج إلى صبر شديد عظيم، صبر في الحضور، فإن الإنسان يقتتطع من وقته ليحضر حلق العلم، سواء في الجامعة أو في المساجد ونحوها، ويحتاج الإنسان إلى صبر في أثناء الحضور، فإن الشيطان يحرص على أن يصرف قلب الإنسان من مجالس العلم، فيأتي للإنسان بأنواع من الصوارف، إمّا أن يذكّره أهله، أو يذكّره قصّة تقع عند أهله، أو يذكّره

مسألة علميّة، أو غير ذلك، حتى ينصرف بقلبه عن العلم، فيحتاج إلى صبر في هذا الحضور، ويحتاج إلى صبر في العمل، ويحتاج إلى صبر في الدعوة إلى العلم الذي تعلّمه.

فما أحوجنا إلى مثل هذه المجالس التي نتذاكر فيها فضل العلم وشرفه، حتى يأخذ بعضنا بأيدي بعض إلى هذا الفضل العظيم والمقام الكريم.

[كيفية التأصيل في طلب العلم]

ولا شك –أيها الإخوة– أن طريق طلب العلم له معالم شرعية كبرى، هي في الحقيقة طريق التأصيل في العلم الشرعي، فإن ممّا يعانيه طلاب العلم أن الواحد منهم يشتكي أنه يقضي السنين الطوال، ولا يجد أنه حصّل علمًا يُكافئ ما قضاه من مدّة في طلب العلم، وإن هذا مع كونه ممّا يَقسِمُه الله عز وجل بين عباده يعود إلى طريق طلب العلم، فإن بعض طلاب العلم لا يسيرون سيرًا صحيحًا حسنًا في طريق طلب العلم.

ولذلك –أيها الأحبة– نحن بحاجة شديدة لأن نعرف معالم السَّير في طريق طلب العلم، حتى نكون في هذا العلم من المُؤصَّلين، ونكون للعلم من المُحصِّلين.

[المعلم الأول: الإخلاص لله عز وجل]

وأول هذه المعالم: هو الإخلاص لله عز وجل، فما رُزق العلم النافع إلا بإخلاص من الله عز وجل، ولا نفع العلم إلا بإخلاص لله عز وجل، فلا بدّ من الإخلاص في طلب العلم، لأن طلب العلم عبادة، والله عز وجل يقول: {وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ} [البينة:٥].

والنبي ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكلّ امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

فلا بدّ من الإخلاص في طلب العلم، وإنّ عدم الإخلاص في طلب العلم سبب لحرمان العلم النافع، قد يُحصّل الإنسان معلومات، لكنّه لا يُحصّل علمًا نافعًا ينفعه ويرفعه وينتفع به.

يقول النبي ﷺ: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة ثلاثة»، وذكر منهم: «ورجل تعلّم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن»، قال: «فأُتي به، فعرّفه نعمه، فعرَفها. قال فما عملت فيها؟ قال تعلّمت العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن»، قال: «فيقال: كذبت، وإنما تعلّمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، وقد قيل. ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار».

فمن أول الناس قضاءً يوم القيامة هذا الرجل الذي تعلّم العلم، وعلّم العلم، وقرأ كتاب الله، وتلا كتاب الله، ولا شك أن هذه نعم عظمى من الله، فأُتي به فعرّفه الله نعمه فعرَفها، فكان السؤال العظيم: فما عملت فيها: ما عملت في هذه النعم؟ قال: تعلّمت العلم وقرأت القرآن، وفي رواية: وقرأت فيك القرآن، فيقال له –بهذا النداء المُخزي– كذبتَ، وإنما تعلّمت ليقال عالم، أردت الألقاب، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ وقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقى في النار.

ويقول النبي ﷺ: «من تعلّم علمًا ممّا يُبتغى به وجه الله، لا يتعلّمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عَرف الجنة يوم القيامة».

«من تعلم»: وهذا يقتضي العموم لكل من انطبقت عليه الصفة.

«من تعلم علمًا ممّا يُبتغى به وجه الله»: هذا هو العلم الشرعي، الذي يُتقرب به إلى الله عز وجل.

«لا يتعلّمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا»: هذا حصر، لا يتعلّم العلم إلا ليصيب به أمرًا من أمور الدنيا، من مال وغيره.

«لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»: أي لم يجد رائحة الجنة يوم القيامة، وقد ثبت أنّ عرف الجنة يوجد على مسيرة أربعين عامًا، ويوجد على مسيرة سبعين عامًا، فدلّ ذلك على أنه – والعياذ بالله– يُبعث عن الجنة مسافة بعيدة على أعظم من مسيرة أربعين عامًا أو من مسيرة سبعين عامًا.

والنبي ﷺ قال: «من تعلّم العلم ليباهي به العلماء أو ليجاري به السفهاء ويَصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم».

«من تعلم العلم»: يعني العلم الشرعي.

«ليباهي به العلماء»: أي ليكون مع العلماء، يباهيهم بعلمه، ويتكلّم مع العلماء، ويتكلّم في مجالس العلماء، ويكون مع العلماء في مجالسهم، هذا قصده، وهذا غرضه، إنما يريد أن يكون في منزلة عالية في أنظار الناس، مع العلماء.

«أو ليجاري به السفهاء»: قصده أن يكون فوق السفهاء، فوق الجهلة، أن يخاصم السفهاء، أن يخصم السفهاء إذا تكلّم معهم، ألّا يستطيع أحد الكلام معه، بل هو يستطيع أن يغلبهم بحجته، والعياذ بالله.

«ويصرف به وجوه الناس إليه»: تعلّم العلم لكي ينظر إليه الناس ويعظّمه الناس، رأى الناسَ إذا مرّ العالم أو طالب العلم رمقوه بأنظارهم احترامًا وتقديرًا، فطلبَ العلمَ من أجل هذا.

«أدخله الله جهنم»: دلّ هذا -أيها الإخوة- على أنّ تعلّم العلم من أجل مباهاة العلماء أو من أجل مجاراة السفهاء، أو من أجل صرف الناس ومن أجل الشهرة، ومن أجل صرف أنظار الناس إلى الإنسان كبيرة من كبائر الذنوب، لأنه متوعّد عليها بجنهم، والعياذ بالله.

وقال ﷺ: «لا تَعلَّموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تَخَيَّرُوا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار!».

«لا تَعلَّموا العلم»: نهي.

«لتباهوا به العلماء»: كا تقدم.

«ولا لتماروا به السفهاء»: أي لتخاصموهم فتخصِموهم.

«ولا تَخَيَّروا به المجالس»: لا يكُنْ قصدكم من طلب العلم وتعلّمِه أن تُقدَّموا في المجالس، وأن يوضَع لكم المكان الأعلى في المجلس.

«فمن فعل ذلك فالنار النار!»: وهذا إمّا خبرٌ من النبي ﷺ أنه يدخل النار من فعل ذلك، وإما دعاء من النبي ﷺ عليه بأن يدخل النار، وعلى كلا الحالين فالخزي عظيم.

ولذلك –أيها الإخوة– لا بد من الإخلاص في طريق طلب العلم.

ولا بد –أيها الأحبة– من أن نجاهد أنفسنا في الإخلاص، ليس الطريق الصحيح أن نترك طلب العلم إذا شككنا في نيّاتنا، أو لنرتاح ما دام أن في المسألة وعيدًا، وإنما الطريق السليم الصحيح الشرعي أن نستمر في طلب العلم، وأن نجاهد أنفسنا، وأن نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الإخلاص، إذا صلّينا سألنا ربنا أن يرزقنا الإخلاص، إذا قمنا بالليل، إذا أوترنا، سألنا الله ربنا أن يرزقنا الإخلاص، ونجتهد في الطاعات، فإن الطاعات تزيد من إيماننا، وتُقرّبنا إلى ربّنا، وبهذا نُعان على الإخلاص لله عز وجل.

إذن يا طالب العلم، إن النور الأعظم، والمعلم الأكرم، في طريق التأصيل في طلب العلم، وفي طريق السير في طلب العلم، أن تُخلص لله سبحانه وتعالى.

ومن الإخلاص: أن تتعلّم لتنتفع، فإن السلف الصالح رضوان الله عليهم كانوا يتعلّمون لأنفسهم، أي لنفع أنفسهم، ثم يفيضون بالخير على الناس.

جاء عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال لابنه: ما تعلّمت من هذا العلم حرفًا إلا لنفسي.

ما تعلمت من هذا العلم حرفًا إلا لنفسي: ومعنى ذلك –يا طالب العلم– أن تجعل نفسك المقصودَ الأول بالعلم، ثم تنفع الناس بهذا العلم، فإن من آفاتنا اليوم أن كثيرين منا يُفكّرون في العلم من أجل غيرهم، وأمّا هم فلا تجد لهم انتفاعًا بالعلم، لأنهم غافلون عن هذا الشأن العظيم.

[المعلم الثاني: العمل بالعلم]

والمعلم الثاني في طريق طلب العلم:

أن تعمل بعلمك، وأن تحرص على العمل، فليس الشأن أن تَعلَم ولكن الشأن أن تعمل، ولذلك –أيها الإخوة– لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسئل عن علمه ما ذا عمل فيه.

فنحن جميعًا يوم القيامة سنُسئل بين يدي ربّنا –في ذلك المقام العظيم– عن علمنا ماذا عملنا فيه، فهذا هو السؤال العظيم، وإنّ عدم العمل بالعلم لسَوءة كبرى.

طالب العلم إذا تعلّم العلم وعلم أن الشيء واجب يلزمه، وإذا علم أن الشيء حرام يتركه، وإذا علم أن الشيء فضيلة أكثرَ منه، وإذا علم أن الشيء مكروه تركه أو تخفّف منه، وإلا كانت الخسارة، والعياذ بالله.

يقول النبي ﷺ: «مررت ليلة أُسري بي بأقوامٍ تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا حبريل؟ فقال: خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون، ويقرأون القرآن ولا يعملون به».

النبي ﷺ رأى هذا عندما أُسري به، رأى أقوامًا يُعذَّبون في جهنم والعياذ بالله، وتُقرض وتُقطَّع أفواههم بآلات من نار، فسأل عن هذا الشأن: «من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: خطباء أمتك».

والمعلوم –أيها الإخوة– أن الخطيب لا يكون خطيبًا إلا إذا حصّل شيئًا من العلم.

«خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون»، فهم لا يعملون، وقد علموا، «ويقرأون القرآن ولا يعملون به».

وقال النبي ﷺ: «يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقَى في جهنم، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع عليه الناس فيقولون: ماشأنك يا فلان؟ ألم تكن تأمر بالعمروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه».

فهذا –والعياذ بالله– من أعظم السوء، وهو كبيرة عظيمة من كبائر الذنوب، أن يتعلّم طالب العلم، وأن يعلّم الناس، لكنه لا يعمل بالعلم، فيأمر بالمعروف الواجب ويتركه، وينهى عن المنكر –أي المحرّم– ويأتيه، وهذا من السوءات العظام.

ووالله ثم والله –أيها الإخوة– ما نفع العلم إلا بالعمل، وما ثُبّت العلم بأعظم من العمل، فمن أعظم مثبّتات العلم: أن يعمل الإنسان بعلمه.

ولذلك –يا إخوة– من أعظم وسائل حفظ القرآن: أن يعمل الإنسان بالقرآن، أن يكون خلقه القرآن، كما كان النبي ﷺ، يقوم الليل فيقرأ بما حفظ، ويقرأ الآيات ويتدبّرها، ويتعلّم ما فيها، ويعمل بما فيها، كما كان السلف الصالح رضوان الله عليهم من الصحابة يفعلون، كانوا يتعلّمون العشر الآيات، فيحفظونها، ويفهمون معناها، ويعملون بما فيها.

فهذا طريق رضا الله عز وجل، وهو سبيل للانتفاع بالعلم، وسبيل لتثبيت العلم.

ولذلك ترى –يا عبد الله– أن الأذكار التي تعلّمتها إذا كنت تعمل بها وتذكر الله بها، فإنها تبقى في ذهنك، أمّا الأذكار التي تتعلّمها ولا تعمل بها، فإنها سرعان ما تزول، وهكذا العلم.

[المعلم الثالث: الصبر]

المعلم الثالث في طريق التأصيل العلمي وطلب العلم، وقد تقدم طرف منه: الصبر، فإن العلم يحتاج إلى صبر، ولن ينال العلمَ خجول ولا ملول.

لن ينال العلمَ خجول: لا يسأل ولا يتعلّم ولا يجلس مع العلماء.

ولا ملول: لا يصبر، فإن طريق العلم طويل، وإن العوائق كثيرة، فطالب العلم بحاجة إلى أن يسأل كثيرًا، وأن يصبر كثيرًا، وإذا لم يصبر، فإنه سرعان ما ينقطع في طريق طلب العلم.

[المعلم الرابع: وضوح الهدف]

من معالم التأصيل العلمي: وضوح الهدف، فلا بد أن يكون هدفك –يا طالب العلم– واضحًا عندك، لا أن تسلك طريق طلب العلم وأنت لا تدري ما تريد.

بعض طلاب العلم يسلك طريق طلب العلم وهو يريد العلم، لكن ما هو الهدف في هذا العلم؟ ما هو الوادي الذي يريد أن يشرب من مائه؟ هذا غير واضح عنده، ولذلك تجده متنقّلًا، لا يثبت على طريق، ولا يثبت على كتاب، لأن الهدف عنده ليس بواضح.

ولذلك –يا إخوة– أنا أوصي نفسي وإخواني ونحن في طريق طلب العلم، أن نحدّد هدفنا.

والعلماء يقولون جملة جميلة جدًا، يقولون: (تعلم كلّ شيء عن شيء، وتعلّم شيئًا عن كل شيء).

تعلم كلّ شيء عن شيء: بمعنى حدِّد لك هدفًا يكون -كما يقولون بتعبيراتهم اليوم- هو التخصص، الفقه، الأصول، الحديث، ونحو ذلك، فاحرص على أن تتعلّم كل شيء عن هذا العلم، بحسب الطاقة، ولكن لا تقتصر عليه، بل تعلّم شيئًا عن كل شيء، فالعلوم الشرعية كلها نافعة، فلا بد من أن تعرف هدفك.

تريد أن تتعلم الحديث: إذن طريقك طريق علم الحديث، ولا مانع من أن تتعلّم العلوم الشرعية الأخرى، ولكن الهدف المرسوم هو أن تتعلّم الحديث.

تريد أن تتعلم الفقه: هذا طريقك، ولا مانع من أن تتعلّم العلوم الأخرى، بل هذا مطلوب، لكن طريقك هو طريق علم الفقه.

[المعلم الخامس: ترتيب طريقة العلم]

من معالم التأصيل في طلب العلم وحسن السير في طريق طلب العلم: أن يرتّب طالب العلم طريقة العلم، وأن لا يخبط خبطة عشواء.

وإن العلماء يقولون: إنه ينبغي لطالب العلم بعد أن يوضّح هدفه أن يرسم طريقه، وأن يكون الطريق صحيحًا.

والطريق الصحيح: أن يبدأ طالب العلم بصغار العلم قبل كباره، ولذلك -يا إخوة- فسّر السلف العلماءَ الربّانيّين بأنهم الذين يعلّمون صغار العلم قبل كباره، أن يبدأ طالب العلم بأوائل العلوم، بصغار العلم، وهذا ما يعبّر عنه العلماء بالمتون، المتون في الفن، المتن المختصر الذي يجمع أهمّ مسائل العلم باختصار، فإن هذا تعلُّم لصغار العلم، فأعظم شيء في الطريق -يا طالب العلم- أن تتعلّم صغار العلم قبل كباره.

ولذلك من الإشكالات التي يقع فيها بعض طلاب العلم اليوم: أن بعضهم يأتون من بلدانهم وقد يأتون من مدارس حكومية، لم يتعلّموا العلوم الشرعية، ثم يدخلون مباشرة في الكليات، ليتعلّموا كبار العلم.

بعض طلاب العلم يأتي ربّما عرف مسائل يسيرة في الفقه، ثم يدخل في كلية الشريعة وفي أول محاضرة يدخل الشيخ عليهم ويتكلّم عن أقسام المياه ويذكر في ذلك خمسة أقوال، ويَذكُر الأدلة والاعتراضات، ربّما في محاضرة أو محاضرتين، لا يحصّل الفقه، ولا يحصّل العلم، لأنه بدأ بالخلاف، بدأ بكبار العلم، بمنتهى العلم، قبل أن يبدأ بصغار العلم.

ولذلك مَن وقع في هذا فعلاج هذا أن يحرص هو على أن يتعلّم صغار العلم، فيتّخذ متنًا في الفقه مثلًا يتعلّم به صغار العلم.

إذن الخطوة الأولى في طريق رسم الطريقة في طلب العلم: أن يتعلم طالب العلم صغار العلم قبل كباره، ويكون ذلك بالحرص على المتون العلمية في كل فن، فيختار الإنسان متنًا.

كيف يختار المتن؟ يختار المتن في الفنّ الذي يريده بالنظر إلى أمور:

- الأمر الأول: خدمة هذا المتن، وأن هذا المتن قد اهتمّ به العلماء، وشرحه العلماء، لأنه يستطيع أن يترقّى به، فلا بدّ أولًا من اختيار المتن بهذه الطريقة.
- والأمر الثاني: عناية علماء بلده وأهل بلده بالمتن، في كل فن، إذا كان هناك متون يهتمّ بها علماء البلد وأهل البلد فإنه يحسن اختيارها، لأن طالب العلم إذا ضبط هذا المتن، ورجع إلى بلده، وهو يضبط هذا المتن الذي يُجلّه العلماء ويعرفه العامة، فإن هذا يجعل الناس يثقون بعلمه.

و–يا إخوة– جرّبنا الناس، الناس الغالب عليهم الجهل، وإنّما عندهم الصورة الكبرى، تذهب إلى دولة، فتجد أنهم يقولون: نحن مالكية، نحن أحناف، عندهم الصورة الكبرى، نحن شافعية، هذا الغالب، عندهم الصورة الكبرى، لكن في داخل المسائل لا تجد ذلك العلم عند العامّة، فأنت إذا جئتهم بالصورة الكبرى، فأنت تضبط متنًا في المذهب المالكي، والله يقولون: هذا –ما شاء الله– عالم، هذا شيخ، هذا –ما شاء

الله– جاء بالعلم، فإذا كنت تضبط هذا المتن، وتحفظ هذا المتن، وتقرّر هذا المتن، فإنك تستطيع أن تنشر العلم الصحيح الصافي بطريق هذا المتن، ويثق الناس بعلمك.

إذا اختار طالب العلم المتن يَحسُن أن يحفظه، أحسن من أن يقرأه، وهذا الحفظ ليس من باب التعبّد بكلام الناس، نحن لا نحفظ المتن كالقرآن، نتقرّب إلى الله عز وجل بكلامه سبحانه وتعالى، وإنما لأنّ حفظ المتن يمكّنك من العلم، فأنت تعرف بحفظك أين تكون المسألة من الكتاب، وكيفية ترتيب المسائل في الغالب، ونحو ذلك.

الخطوة الثانية في التحصيل: أن يفهم طالب العلم المتن، فهو يقرأ المتن على عالم أو مشروحًا بما يفهم به المتن ليتعلّم كيف يفهم كلام العلماء.

فإذا قرأ هذا الكتاب، وفهِمَه، فإنه ينتقل إلى نقد المتن، ينتقل من فهم المتن إلى نقد المتن، بمعنى معرفة الصحيح من غيره، والراجح من المرجوح، فينتقل إلى نقد المتن، فيبحث عن شيخ يعلّم بهذه الطريقة، يقرأ المتن، وينتقد المتن، إذا كان ما فيه راجحًا دلّل عليه، إذا كان ما فيه مرجوحًا نبّه عليه وبيّن الراجح.

ثم بعد ذلك ينتقل إلى خلاف العلماء في الفنّ، فيختار كتابًا فيه بسط العلم في هذا الفن.

وأضرب مثالًا في الأصول والفقه: فمثًلا في الأصول يبدأ الإنسان فيختار متنًا، فرضنا أنه اختار الورقات، وهذا أشهر متن موجود عند الأصوليين، الورقات لإمام الحرمين، وقرأ هذا المتن، وحفظ هذا المتن، فإنه ينتقل إلى أن يُشرح له هذا المتن، ليفهم فقط، لينتقل من التلقّي المجرّد إلى الفهم، ثم بعد ذلك ينتقل إلى نقد هذا المتن، ما هي الأشياء التي أُدخلت فيه، ما هي المسائل العقدية المخالفة فيه، ما هي المسائل الأصولية الصحيحة، ما هي المسائل الأصولية المرجوحة، ثم بعد ذلك ينتقل إلى كتاب فيه بسط علم الأصول مثل كتاب شرح الكوكب المنير لابن النجّار.

ويمكن أن الإنسان في ترقيه بعد أن يأخذ الورقات، ويفهم الورقات، وينتقد الورقات ينتقل إلى روضة الناظر لابن قدامة، وأنا أفضّل دائمًا لمن يقرأ الروضة أن يقرأ معها ثلاثة كتب برفقة قراءة الروضة:

- مذكرة الشيخ الأمين على الروضة، وهذه من أهم ما يُقرأ مع الروضة، ولاحظوا أنّا نتكلم عن مرحلة بعد قراءة المتن وفهم المتن ونقد المتن، فالشيخ الأمين رحمه الله في المذكّرة ينبّه على المسائل والأمور العقديّة ونحوها.
- والكتاب الثاني: المستصفى للغزالي، لأن المستصفى للغزالي كالأصل لروضة الناظر، وإن كان بينهما بعض الاختلاف، لكنّ كثيرًا من المسائل قد لا تفهمها في روضة الناظر، ولكن إذا قرأت المستصفى تتّضح لك.
- والكتاب الثالث: شرح مختصر الروضة للطوفي.

ثم بعد ذلك ينتقل طالب العلم إلى شرح الكوكب المنير لابن النجّار، وهو من أنفع الكتب وأسلم الكتب الأصولية، وفيه بسط للخلاف الأصوليّ.

في الفقه مثلًا يختار الإنسان متنًا، مُلاحِظًا ما ذكرناه، ويحفظ هذا المتن، ويقرأ هذا المتن حتى يفهمه، ويقرأ هذا المتن قراءة نقدية، ثم بعد ذلك ينتقل إلى الخلاف.

لو اختار زاد المستقنع ينتقل إلى الشرح المختصر للشيخ صالح الفوزان، لأنه تحليل للكتاب، ثم ينتقل إلى الشرح الممتع لابن عثيمين رحمه الله، لأنه نقد للكتاب، يذكر الشيخ الراجح، ويذكر المرجوح، ثم ينتقل بعد ذلك إلى كتب الخلاف، ككتاب المغني لابن قدامة.

وأنا ذكرت للإخوة مرارًا أنك مثلًا لو اخترت متنًا في المذهب المالكي، ولم تجد من يشرحه، تستطيع أن تحضر شروح المتون الأخرى، فإذا كان هناك مسائل في المتن الذي قرأته لم ترد في الشرح تسأل عنها الشيخ أو تراجع بنفسك فتُتِمّ هذا الشرح.

فهذا الطريق طويل، ولكنه لا بد منه في التأصيل.

ومع هذا ينبغي أن يتعلّم طالب العلم أصل العلم وعلوم الآلة، ينبغي أن يتعلّم طالب العلم القرآن، وأن تكون همّته في تعلّم القرآن عالية.

كان السلف الصالح رضوان الله عليهم أول ما يبدأون بالصغار بالقرآن، وهذا الأصل، من استطاع أن يتعلم القرآن وهو صغير فهذا هو الأصل والخير، لكن من لم يستطع، فإنه يتعلّم القرآن مع سيره في طريق طلب العلم، ويجعل للقرآن نصيبًا.

وأنا دائمًا أقول للإخوة: الذي لا يحفظ القرآن الآن وهو في الكلّية أو في عمر متقدم، وهو لم يحفظ القرآن، لو أنه إذا أذّن المؤذّن ذهب إلى المسجد وصلّى الركعتين، ثم حفظ ما يستطيع أن يحفظ، يستطيع أن يحفظ آيتين بين الأذان والإقامة: خلاص، يحفظ آيتين بين الأذان والإقامة، إذا جاء لصلاة الظهر، حفظ آيتين، جاء لصلاة العصر، حفظ آيتين، جاء لصلاة المغرب، حفظ آية، لصلاة العشاء حفظ آيتين، قام الليل: راجع حفظه، لن يمرّ عليه زمن طويل إلا وقد حفظ القرآن.

لكن لا ينبغي لطالب العلم –ولو أصبح شيبةً– أن يُهمل نفسه في القرآن الكريم، فهذا هو أصل العلم، وبركة العلم.

أيضًا: أن يتعلّم علوم الآلة، فيتعلّم النحو الذي يُقيم اللسان، ويُفهَم به العلم، فلا بدّ لطالب العلم من أن يكون عارفًا بالعربيّة، وقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يعظّمون تعلّم العربيّة، فلا بدّ من أن يكون لطالب العلم نصيبٌ في تعلّم اللغة العربية.

والعلم الثاني: علم أصول الفقه، فإن علم أصول الفقه معناه علم أصول الفهم، فالإنسان لا يستطيع أن يفهم النصوص فهمًا صحيحًا إلا إذا كانت عنده معرفة بأصول الفقه، ولا يستطيع أن يفهم كلام العلماء فهمًا صحيحًا إلا إذا كانت عنده معرفة بأصول الفقه.

[المعلم السادس: تلقي العلم عن أهله]

ومن معالم التأصيل في طريق طلب العلم: أن يتلقى طالب العلم العلم عن العلماء، وأن يأخذ عن العلماء، وأن يحرص على الكبار، فإن البركة مع الأكابر، ولا يزال الناس بخير ما تلقَّوا العلم عن أكابرهم.

فإذا منّ الله عليك بعالم كبير، يعلّم العلم، فاحرص على أن تتزوّد من العلم عنده، فإن هذا أصل بركة العلم، ومهما كنت –حتى لو كنت مبتدئًا– لا يصدّنّك ذلك عن أن تجلس في حلق العلم للعلماء الكبار.

الشيخ عبد المحسن العباد، جبل العلم في مدينة رسول الله ﷺ، إمام، كبير في علمه، كبير في سنّه، مِن نعم الله عليك أن أدركته، فاغتنم هذا، واذهب واجلس في حلقة الشيخ عبد المحسن، ولو كنت مبتدئًا، ولو كنت طالبًا في الشعبة، ستجد من البركة والسكينة والخير والعلم ما لا يَقدُر قدرَه إلا الله سبحانه وتعالى، ولا تنظر لنفسك اليوم، غدًا ستجد أثر هذا الجلوس.

ولذلك –يا إخوة– السلف الصالح رضوان الله عليهم كانوا يحرصون على إحضار صبيانهم الصغار لكبار العلماء، فاحرص على التلقّي، وإياك والتخلّي عن العلماء، والبعد عن العلماء، والاغترار بنفسك، والانفراد بكتبك، فإن القراءة فيها خير، لكنها ليست الأصل، وإنما الأصل أن يُتلقّى العلم كما تلقّى الصحابة العلم عن رسول الله ﷺ، وكما تلقّى التابعون العلم عن صحابة رسول الله ﷺ، فالحرص على تلقّي العلم عن العلماء، وحضور حلق أهل العلم فيه خير كثير.

وإياك –يا طالب الجامعة– أن يغرّك الشيطان بأنك مشغول بدروس الجامعة، فإنّ الموفَّق يستطيع أن يوفِّق، ويستطيع أن يشغل نهاره بالدروس في الجامعة الإسلامية –وهي دروس مباركة إذا وفّق الله المدرّسين بالسير على منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم– وتشغل ليلك أو أوّل ليلك بحضور حلق في مسجد رسول الله ﷺ.

وليست العبرة بالوقت، وإنما العبرة بالبركة في الوقت، ليست العبرة أن تكون عندك ساعات، وإنما العبرة أن يبارك الله لك في الأوقات، وإذا أقبلت على العلم فثق أن الله سيبارك لك، وستجد البركة في وقتك.

يا إخوة، الشيخ ابن باز رحمه الله لا أظنّ أنّ أحدًا في الدنيا في زمنه كان أشغل منه، كان رحمه الله يصلّي الفجر، ثم يجلس في المسجد، تُقرأ عليه علوم ، أحيانًا أربعة ، وأحيانًا ستة، إلى الساعة الثامنة تقريبًا، ثم يذهب الشيخ إلى المكتب، ويداوم في مكتبه إلى الساعة الثانية والنصف، ولم يُعرف أن الشيخ ابن باز أخذ إجازة في حياته من العمل، ولم يُعرف عنه أنه يتأخر عن بداية الدوام أو يخرج قبل نهاية الدوام.

وكان رحمه الله إذا جاء إلى مكتبه والْتقى بالخواصّ في مكتبه سألهم عن الأخبار، ما الأخابر اليوم؟ فإن قيلت أخبار علّق عليها، وإن لم يذكروا ذكر لهم الأخبار.

الذين يقولون: علماؤنا ما يعرفون الواقع! إذا لم يذكروا الأخبار قال: حصل اليوم كذا، وفي دولة كذا كذا، ويعلّق عليها، بصفة يوميّة، مع خواصّ المكتب.

ثم يخرج من مكتبه الساعة الثانية والنصف إلى بيته، فيجلس للسائلين والضيوف، ولا يُعرف أن الشيخ تغدّى لوحده، لا بدّ من ضيوف، ففيه كرم عجيب.

ثم ينام بعد العصر شيئًا، ثم عنده أربعة هواتف يتلقّى بها أسئلة الناس من الدنيا كلّها.

من عجائب ما سمعت: أن الشيخ اتصل به رجل من أمريكا الجنوبية، يشكو حاله وفقره إلى الشيخ، فقال له الشيخ: أعطنا رقمك، أعطنا رقمك، فأملى على الشيخ والشيخ أملاه على كاتبه، فقال الشيخ: أغلق الهاتف، أنا أتصل بك الآن، لأن الرجل يتّصل من أمريكا الجنوبية وشكا فقره، فالشيخ رأى أن اتصاله سيكلّفه، فأخذ منه رقم الهاتف، واتّصل به، وأخذ يسأله عن حاله، وحال المسلمين، وحال البلد.

وأنا أريد –يا إخوة– أن تعرفوا أن البركة في الوقت شأنها عظيم، وأن علماءنا أيضًا يهتمون بالمسلمين.

يذكر الحجيلان سفير المملكة في فرنسا أن شابًّا جزائريًّا سُجن في فرنسا، وانتهت مدّته، وناله من الظلم الكثير، فأرسل رسالة للشيخ ابن باز يشكو حاله وأنه مظلوم في السجن، فكتب الشيخ ابن باز رسالة إلى الرئيس الفرنسي، من عبد العزيز بن باز إلى الرئيس كذا، وتلطّف في العبارة، فإنّ فلانًا يشكو كذا وكذا وكذا وكذا، يقول السفير الحجيلان: إن الرئيس الفرنسي لم يخرج من مكتبه ذلك اليوم إلا وقد أُطلق سراح ذلك الشابّ.

ثم إذا كان هناك ندوة في الجامع الكبير حضرها الشيخ وعلّق عليها، مع محاضراته بعد المغرب.

من بركة وقت الشيخ: أنه كان إذا ركب في السيارة ومعه طالب علم يجعل طالب العلم يقرأ عليه، مرة تعطّلت السيارة –سيّارة الشيخ– ومعه بعض طلاب العلم، فجلس الشيخ على كرتون وقال لأحد طلاب العلم اقرأ، وأخذ يقرأ والشيخ يشرح، بركة عجيبة في الوقت، مع كثرة مشاغله، رحمه الله رحمة واسعة.

فليست العبرة –يا طالب العلم– بالساعات، والله قد يكون عندك من الساعات الطوال لكن لا خير فيها، ولكنّ العبرة بالبركة، ببركة الوقت.

ولذلك لا يغُرنّك مَن يقول لك إنّك مشغول بدروس الجامعة، أو يأتي قُطّاع الطرق الذين لا يريدون من طالب العلم أن ينتفع من العلماء، وبعضهم للأسف من الطلاب المتقدّمين قبل الطالب المستجدّ، ويريدون أن يقطعوا الطريق عليه، لأنهم لا يريدون منه أن يحمل العلم عن هؤلاء العلماء، يريدونه على الجماعات الحزبية والمناهج المبتدَعة الضالّة، فيقولون له: أنت صغير، وأنت ما تفهم العربيّة، والشيخ عبد المحسن العباد صوته واطي، والشيخ عبد المحسن العباد صعب أن يُفهَم، ثم بعد أن يتعلّم العربيّة يكون زهد في أمثال هؤلاء العلماء.

فإياك –يا عبد الله، يا طالب العلم– أن تغترّ بهذا، والله لا خير لنا بفضل الله، إلا أن نتلقّى العلم عن كبارنا، وأن نحرص على حلق أهل العلم.

[المعلم السابع: تقوى الله]

من المعالم –وهذا آخر معلم أذكره– في التأصيل العلمي وفي طريق السَّير في طريق طلب العلم: تقوى الله، فإنّ تقوى الله سبب لزيادة العلم، وسبب لتثبيت العلم، {وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ} [البقرة:٢٨٢]، من اتّقى الله زاده الله علمًا، ونفعه بالعلم.

أن تتقي الله وأن تكون مُراقبًا لله، أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله، هذا سبب لحصول العلم، وسبب لتثبيت العلم، وسبب لزيادة العلم.

[تعليق القلب بالله ودعاء الله أولًا وآخرًا]

ثم أختم: بأن تعلّق قلبك بالله، وأن تكثر من دعاء الله وسؤال الله العلم النافع، وأن تتعوّذ بالله من العلم الذي لا ينفع، فإنه كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، وأعوذ بك من علم لا ينفع».

فلا تتّكل على قوّتك، ولا على ذكائك، ولا على طريقتك، وإنّما علّق قلبك بالله مع حسن السير، واسألِ الله أن يرزقك العلم النافع، وأن ينفعك بالعلم، واستعذ بالله من العلم الذي لا ينفع.

أيها الأحبة، أيها الفضلاء، أذكّر نفسي وإياكم بما بدأت به، وهو أن طريق طلب العلم خير كلّه لمن وُفِّق فيه، فلا تمَلّوا، ولا تكِلّوا، ولا تتكبّروا، ولا تخجلوا، وسيروا متوكّلين على الله في طريقكم، وثقوا أنّ مَن لم يتعلم اليوم سيندم غدًا.

والله –يا إخوة– سافرت كثيرًا، والتقيت بأشخاص كثر مِن خريجي الجامعة الإسلامية، أجمعوا على أنّ أعظم شيء ندموا عليه: أنهم فرّطوا في أوقاتهم في المدينة، قالوا كنّا في المدينة طلاب علم، وكان العلماء في المدينة، لكنّا لم نستفد من وقتنا كلّه، واليوم نحن في بلداننا مع ضعفنا نحن العلماء، نحن أحسن الموجودين، والناس يحتاجون إلينا، نفعَنا اللهُ بما تعلّمناه، لكن ندمنا أنّا لم نزدد.

ووالله من لم يتعلّم اليوم، ويغتنم هذا الوقت في الجامعة الإسلامية وفي مدينة رسول الله ﷺ سيندم غدًا، وإني لأرجو الله أن لا تكونوا من النادمين.

أسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلني وإياكم ممن أراد بهم خيرًا ففقّهم في الدين، وأن يرزقني وإيّاكم الإخلاص في القول والعمل، وأن يُكرمنا بالسير على منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، وأن يجعلنا من يتلقّون العلم بفهم السلف الصالح، ويرحمون الأمة بنشر العلم بفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم، وأن يجعلني وإيّاكم مفاتيح للخير مغاليق للشر.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا وسلّم.

[الأسئلة]

[سؤال]

لقد وجدت أن أصعب شيء في طلب العلم: النية الصالحة، فكيف أحصل عليها؟

[الجواب]

لا شك –يا إخوة– أن النية الصالحة في كل شيء صعبة، تحتاج إلى مجاهدة، وهذا ما ثبت عن السلف الصالح رضوان الله عليهم.

في الصلاة: النية تحتاج إلى مجاهدة وصبر، في الصدقة، في طلب العلم، وأنا ذكرت –يا إخوة– أن الشيطان إذا سمع طالب العلم نصوص الوعيد في عدم الإخلاص في طلب العلم يأتي ليستغلّ هذا ليصرف طالب العلم عن طلب العلم، يقول: ما الذي يُدخلك في هذا الطريق؟ هذه مسألة جهنم! ما تسمع؟ من تعلّم علمًا ممّا يُبتغى به وجه الله لا يتعلّمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة! وأنت تتعلّم في الجامعة من أجل الشهادة، هذه نار، ارجع إلى بلدك، أنت متغرّب، وتارك أمّك، وتارك زوجتك، وفي الأخير في النار! اترك هذا وارجع واشتغل بالتجارة وتَسلَم!

وذلك –يا إخوة– لأن العلم أشدّ شيء على الشيطان، وليس الطريق أن تترك طلب العلم، ولكن الطريق أن تجاهد نفسك في حصول النية الصالحة، ومن جاهد حصّل، قد يتأخّر ولكنّه في خير ما دام أنّه يجاهد، هذه المجاهدة عبادة، وسيصل بإذن الله وحول الله وقوّته.

وأنا أوصي دائمًا الإخوة طلاب العلم الذين يشتكون من هذا –وكلّنا نشكوا منه– أن يحرصوا على طاعات الخلوات، فإن لها من الأثر في القلب ما لا يعلمه إلا الله، تقوم بالليل، وتذهب في مكان، وتتخفّى وتصلي، وتسأل الله الإخلاص، هذا له من الأثر على القلب ما لا يعلمه إلا الله، طاعات الخلوات: تتصدق بصدقة، وتحرص على أن لا يعلم بها أحد من الناس، هذا من أعظم ما يؤثر في القلب.

والمعلوم –يا أحبة– أن الإيمان يزيد بالطاعات، وكلّما كانت الطاعة في خلوة كلّما كانت أخلص لله، فكان لها أثر في زيادة الإيمان، وهذا يُعين به اللهُ العبدَ على الإخلاص له سبحانه وتعالى.

فوصيتي –يا حبيبي– أن تُكثر من الدعاء أن يرزقك الله الإخلاص، إذا سجدت لله: قل يا ربّي، أنت أعلم بحالي، اللهمّ خلّصني من هذه الظلمة، اللهمّ خلّص لي قلبي، اللهمّ ارزقني الإخلاص لك، ونحو هذا، وعليك بكثرة الطاعات، ولا سيما بطاعات الخلوات، واثبُت واصبر، وإياك أن تترك الطريق.

وبالمناسبة أقول: إن هناك من الأمور ما لا يخالف الإخلاص ويظنّه بعض الطلاب يخالف الإخلاص، مثل: أن يحرص على الشهادة من الجامعة، فإن الحرص على الشهادة من الجامعة لتكون وسيلة ليُعلّم ويدعو إلى الله لا تنافي الإخلاص، وحتى لو أراد بها أيضًا أن يحصل على مال حتى يستطيع أن يعلّم ويستطيع أن يدعو إلى الله، فإن هذا لا ينافي الإخلاص، وكذلك التنافس في الدرجات، والحرص على أن يحصل طالب العلم على امتياز، هذا لا ينافي الإخلاص، لأنه ممّا يُعينه على أن يواصل دراسته وممّا يعينه على أن يُقبل في الجامعات، وأن يُقبل في المعاهد ونحو ذلك، فهذا لا ينافي الإخلاص، وإنما الذي ينافي الإخلاص: أن يريد الشهادة للدنيا، فهذا الأمر ينبغي أن يُتنبّه إليه.

أسأل الله أن يرزقني وإيّاكم الإخلاص والثبات.

[سؤال]

ما نصيحتك لطالب الجامعة إذا أوشك أن يتخرّج؟

[الجواب]

النصيحة الأولى: أن لا تعتقد أنك شبعت من العلم ووصلت، فهذا الباب من ظنّ أنه قد وصل فيه قد انقطع، ولا يزال طالب العلم بخير ما ظنّ أنّه جاهل، ولا شك –يا إخوة– أن طالب العلم كلّما تعلّم شيئًا كلّما علم أنه يجهل أكثر.

وبالتالي –يا إخوة– طالب العلم الصادق لا بدّ أن يتواضع، لا يمكن أن يتكبّر بعلمه، لأنه كلّما اتّسع علمه كلّما رأى مقدار جهله، فيتواضع لله، ويتواضع لعباد الله.

فالوصية أن لا تنقطع عن طلب العلم، وأن تستمرّ في طلب العلم، تتواصل مع العلماء والمشايخ، تقرأ.

والوصية الثانية: علِّم الناس العلم، ما تعلَّمته فعلِّمه، وما دمت أخذت عن العلماء وتعلّمت في الجامعة الإسلامية فهذه تزكية، لا تحتاج إلى فلان أو فلان، ما تحتاج إذا ذهبت إلى البلد أن تأخذ تزكية من شخص بعينه، وإنما التزكية تكون من العلماء المعتبَرين، فإذا أخذت العلم في الجامعة الإسلامية فهذه تزكية في الجملة، وإذا أخذت عن العلماء فهذه تزكية، ما دمت على صراط الله المستقيم، فعلِّم الناس.

وبعض الإخوة –هداهم الله– يقطعون الخير عن الناس، فإذا جاء طالب علم من الجامعة الإسلامية، ودرس في حلق الشيخ عبد المحسن العباد، وفي حلق غيره من أهل العلم، وجاء يُدرّس، قالوا: لا، ما تدرّس، أنت ما أنت مزكّى.

والبلاد بحاجة إليه، والعباد بحاجة إليه، وهو لا يُعرف فيه جرح، وهو ناقلٌ العلم عن أهل العلم، وهذا والله ليس من طريق العلماء.

وقديمًا سمعت الشيخ ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله ومتّع بعلمه– يقول: من التزكية أن يكون الطالب من الجامعة الإسلامية، طبعًا ما لم يظهر عليه ما يجرح شأنه.

علِّم الناس، ووالله إن من لم يُعلِّم ضاع علمه، يضيع في الحقيقة، يتلاشى مع الزمن حتى يُصبح من العوامّ.

أنا لقيت بعض خرّيجي الجامعة، والله إن طالب المعهد في بلدهم أحسن منه، عامّي، ما عنده شيء، لماذا؟ لأنه انقطع، رجع وانقطع، لا ازداد علمًا ولا علَّم، وربّما بُلي بعمل إداري، وانشغل به حتى تلاشى العلم وذهب.

فمن أعظم نعم الله على طالب العلم أن يُعلّم العلم، فعلِّمِ ما تعلَّمت، ولا تزِد على ما تعلم، خُذ سلاح (لا أدري)، وإذا سُئلت عن شيء لم تعلمه قل لا أدري، وراجع، اسأل، هذا الشأن.

نحن بين طرفين:

- طرف: إذا تخرّج من الجامعة تعالَمَ حتى أصبح شيخ الإسلام، وينتقد كلام العلماء، وينتفخ ينتفخ ينتفخ حتى ينفجر، وهذا لا شك أنه سوء.
- وطرف: ينقبض، ولا يبسط نفسه للناس، ولا يعلّم الناس، ويقول: ما الذي يُدخلني في هذا الباب، وأسلم لي، ونحو ذلك، وهذا أيضًا غلط.

والصواب الوسط، وهو: أن الإنسان يقتصر على ما علم، ويُعلّم ما علم، بعلم وبصيرة ويجتهد في هذا.

كذلك، الأمر الثالث: الوصية بالدعوة إلى الله، أن يدعو المسلمين وغير المسلمين إلى الله سبحانه وتعالى، على بصيرة وبحكمة.

والأمر الرابع: أن يخالق الناس بخلق حسن، ويتألّف الناس بالأخلاق الحسنة، لا بالتنازل عن دين الله، التنازل عن دين الله لم يُؤذَن لنا فيه.

بعض الناس إذا تخرّج في الجامعة وذهب إلى بلاده، قال: والله أنا سأتألّف الناس، كيف تتألّف الناس؟ قال: لن أتكلّم في التوحيد، لأن الناس ما يحبّون الكلام في التوحيد، لن أتكلّم في البدعة، لأن الناس ما يحبّون الكلام في البدعة.

طيب تتكلم في ماذا؟! معالم دعوة الناس في سنة النبي ﷺ الدعوة للتوحيد، والدعوة للسنة والتحذير من البدعة وتعليم الناس كيف يعبدون الله بالسنة، هذه معالم الدعوة، ما فيه غيرها، الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك، الدعوة إلى السنة والتحذير من البدعة، تعليم الناس كيف يعبدون الله بالسنة.

فليس من تأليف الناس أن تترك الدعوة إلى التوحيد، ولكنّك تدعو إلى التوحيد بالأسلوب الحسن، فينبغي أن تتقي الله في توحيدك.

بعض طلاب العلم من خرّيجي الجامعة إذا ذهب يقول: والله أنا في السنوات الأولى سأشاركهم في المولد، حتى يقولون: هذا –ما شاء الله– ما هو وهّابي، فأنا أتألّفهم، وأوّل سنة يذهب ويرقص معهم، وثاني سنة يرقص معهم، فتطيب له الدنيا، لا زالوا لا زالوا لا زالوا، حتى يبول الشيطان في فيه.

بعد هذا، لو فرضنا جدلًا أنه بعد ما كان يرقص معهم أراد أن يقول لهم: إقامة المولد حرام، يقولون له: هذا من الشيطان، أنت أتيتنا من المدينة بالمولد، هذا وحي جديد نزل عليك؟! ما يقبلون منه.

لكن يا إخوة– نتألف الناس بأخلاقنا، إذا نيل منّا نصبر، نبتسم، نتعامل بالخلق الحسن، يرى الناس منّا التواضع، إذا رأوا من غيرنا من أهل البدع الكِبر، شيخ الطريقة الذي لا يفهم شيئًا إذا جاء الناس وضع يده هكذا، ويأتي الناس يَحفون على أيديهم وأرجلهم، يقبّلون هذه اليد، وبعضها –سبحان الله– تظنّ أنها ما غُسلت من سنين.

والله أنا رأيت رجلًا يقولون إنه شيخ، يتبرّكون به، على رأسه إحرام أظنّ أن الوسخ الذي فوقه أكثر من القماش.

إذا رأى الناس هذا يرون منك –يا طالب العلم، يا صاحب السنة– التواضع لهم، السؤال عن حالهم، الابتسام لهم، مساعدتهم، مساعدة الكبار، لو أنك رأيت جارك يبني بيتًا فخرجت من بيتك وأنت الشيخ تحمل معه وتساعده، هذا الذي يؤثّر في قلوب الناس، والله لهذا أكثر أثرًا في قلوب الناس من الأموال.

فوصيتي لطلاب الجامعة أن يخالقوا الناس بالخلق الحسن، وأن يتألفوا الناس، لا سيما في بلدانهم التي تكثر فيها المخالفات والبدع والأهواء، فإنه ينبغي أن يُظهروا لهم الأخلاق الحسنة.

وأنا زرت بلدًا ووجدت مجموعة من السلفيّين الطيّبين جدًّا، على منهج طيّب من أنقى المناهج، مجموعة، حوالي عشرة، ووجدتهم في مسجد، ليس لهم في البلد أثر، هم عشرة مع

بعضهم، وعندما سمعت منهجهم: من أصفى ما سمعت، ويقرأون –ما شاء الله– كتبًا، ولكنهم في مسجد في طرف البلد، في طرف العاصمة، وهم مع بعضهم.

قلت لهم: ما لكم دعوة؟ ما لكم مخالطة؟ قالوا: هجر المبتدع! قلت: سبحان الله! أنتم الآن عشرة، وتحتاجون أن تدعوا الناس، أنتم لو هجرتم لكنتم المهجورين، أنتم الآن في زاوية، اخرجوا وخالطوا الناس، وخالقوا الناس بخلق حسن، وادعوا إلى التوحيد والسنة، ادعوا إلى منهجكم هذا، واللهِ سينتشر في البلد بحول الله وقوته، لكن يحتاج الأمر إلى أن ندعو ونصبر، ونخالق الناس بخلق حسن، ونضع كل شيء في موضعه.

إذا ذهبت إلى بلد أكثرهم مبتدعة، هكذا تعلّموا، ما تهجرهم، بل تدعوهم وتخالطهم وتخالقهم بالخلق الحسن، لأن الأمر يكون مُنعكسًا، فتكون أنت المهجور في الحقيقة، وأنت التارك للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فلا بدّ من إدراك هذا الأمر، وإدراك طبائع الناس في معاملتهم بالأخلاق الحسنة.

والله –يا إخوة– لو رأيتم المشايخ وهم يذهبون في دورات الجامعة، كيف يتألّفون الناس، لأنهم يَعلَمون أن البلد تنتشر فيه البدع، وأن الدعايات والإشاعات عن أهل التوحيد كثيرة ومكذوبة، الشيخ ربيع، الشيخ صالح السحيمي، الشيخ صالح العُبُود، الشيخ علي ناصر الفقيهي، الشيخ محمد بن عبد الله بن زَربان، كبار المشايخ المتقدّمين، الذين كانوا يذهبون في دورات الجامعة، يعاملون الناس بخلق، ويتلطّفون معهم، لينشورا السنة، وينشروا دعوة التوحيد.

فنُخالق الناس بخلق حسن، ونتألفهم بأخلاقنا، لكن لا نتنازل عن دين الله سبحانه وتعالى.

فهذه أمور أربعة أوصي بها طلاب العلم.

[سؤال]

ما نصيحتكم لمن خُيّر بين حفظ القرآن وحفظ المتون، وهو لم يحفظ القرآن كاملًا؟

[الجواب]

أنا أقول: الأصل لو كان الإنسان في بداية الطلب: أن يبدأ بحفظ القرآن، لكن الآن نوصيه بالجمع بأن يُخصّص وقتًا للقرآن، كما ذكرنا مثلًا بين الأذان والإقامة، وفي آخر الليل، يجعل هذا الوقت للقرآن، فإن هذا ممّا ينفعه، ويجعل بقية الوقت لحفظ المتون.

[سؤال]

ما هي الطريقة الأفضل لتثبيت العلم؟

[الجواب]

الطريقة الأفضل لتثبيت العلم: أن تقرأ قراءة صحيحة بحسب ما يناسبك.

- بعض الناس الأحسن عنده أن يجلس ويقرأ صامتًا.
- بعض الناس الأحسن عنده أن يقرأ بصوت عالي.
- بعض الناس الأحسن عنده أن يمشي.

كلّ فقيه نفسه، فيقرأ بالطريقة المناسبة لنفسه، هذا الأمر الأول.

الأمر الثاني: أن يراجع الدروس، لا بد من أن تُخصّص لك وقتًا للمراجعة، تخصّص وقتًا للمراجعة اليومية، ووقتًا للمراجعة الأسبوعية.

الأمر الثالث: أن يتّخذ رفقة لا يكون عددهم كبيرًا يتدارس معهم ما درسوا، يعني يختار اثنين، ثلاثة، فيتدارسون ما درسوه، إما خلال اليوم أو خلال الأسبوع، وهذه من الأشياء التي تثبّت العلم.

والأمر الرابع: العمل بالعلم، كما قرّرناه.

والأمر الخامس: تعليم العلم.

فهذه الأمور الخمسة أحسنُ الوسائل في تثبيت العلم.